الفصل السابع عشر

«حسان أه يا حياة كم تعبت من قرأتك، أي امرأة أنت...!! تعيشين الفصول الأربعة بيوم واحد»

«أتعبتني مجرد ملاحقة أحداثك ألهث.. تسير بسرعة غريبة كل سطورك.. توتر.. أشعر بك وبكل أحزانك.

تعب قلبي قبل عيوني علىّ النوم قليلا. ساعتان وتشرق الشمس أشتاقك أريد رؤيتك وأطمئن عليك وأعود لدفتر الأحزان هذا لعلني أعرف من الذي أوصلك إلى هذه الحالة من الاستسلام واليأس حتى أستطيع أن أعيد إليك الفرحة حبيبتي أعدك سنكون

obeikandl.com

معا لن أتركك أبدا، أطفأ سيجارته وتكوع على نفسه والدفتر بيده وكأنه يعانق حياة واستغرق في النوم.»

«في صباح اليوم التالي

«يحتسي حسان قهوته مسرعا فهو على موعد مع حياة اليوم هو يعرفها ليس مجرد تشابه إنه على موعد مع حبه، يسرع إلى غرفتها ومن وراء الزجاج، ينظر إليها متلهفا يتمنى لو تفتح عينيها لثانية وتراه أمامها، لم يطل وقفته وراء الزجاج دخل وقف بجانبها وأمسك يدها، شعر بحرارتها»

حياة أنت تشعرين بوجودي أليس كذلك؟قرأت حياتك بل كنت معك بكل تفاصيلك، حبيبتي سامحيني أرجوك أنا مسؤل عما حدث معك كنت غبي أمام خبث محمود وتركتك سامحيني حبيبتي ولكن أعدك لن أتركك بعد الآن، حياة لم يأت أحد لزيارتك أين زوجك أليس أحمد من أحببت كيف يتركك بهذا الحال وحيدة،

مازلت حبيبتي كما أنت رغم السنين والحزن البادي على وجهك أنت حياة الجميلة بكل ما فيك، لابد أن أذهب ، لعملي الآن..لم أخبرك حبيبتي أنا هنا أعمل بقسم الهندسة الإلكترونية وحين انتهاء عملي سأعود إلى قراءة ما تبقى من قصتك ...أعيشها معك بكل مامر بك وفي الصباح سوف أتي إليك أرجوك تماثلي للشفاء

انتظريني أرجوك، .

يذهب حسان لغرفة الطبيب.

- دكتور هل لي أن اعرف ماهي حالة المريضة حياة؟

-إنها في العناية المركزة .

هل تعرفها؟غريب أمرها لم يأت أحد لزيارتها منذ دخولها المستشفى

- من أحضرها إلى هنا؟؟

- أتانا اتصال من أحدهم شاهدها وهي تقع على الأرض مغميا عليها، وطلب سيارة إسعاف وفي دفتر هاتفها اتصلنا برقم موجود عليه اسم أحمد وحضر إلى المستشفى وقال إنها كانت زوجته ودفع مبلغًا للمستشفى وقال إنه متكفل بكل المصاريف لم يكرر الزيارة ولكنه يتصل هاتفيا يسأل عنها.

- أخبرني حسان هل تعرفها؟ منذ قدومها وهي على هذه الحال يبدو أنها مصابة بصدمة عصبية قوية وهي لا تستجيب للعلاج لا تتكلم مستسلمة لحالة الثبات تلك ومعظم الحالات التي ترفض الحياة في باطنها لا يمكن أن تستجيب للعلاج.

-دكتور هل وضعها خطير لهذه الدرجة؟؟

obeikandl.com

-لا أنكر حالتها تسوء يوم بعد يوم، هي تبدي بصمتها واستسلامها رغبة قوية للموت يجب أن يكون عندها الرغبة بالشفاء لكي نستطيع مساعدتها.

- ولكن أخبرني من تكون بالنسبة لك؟؟

- صديقة طفولة، أقصد كنا نسكن في نفس الحي، شكرا لك دكتور يمكنني زيارتها غدا.

-يمكن لك ذلك ولكن دون أن ترهقها.

-اكرر شكري بإذنك.

«يعود حسان لعمله وهو متعب وحالة القلق تبدو عليه لم يستطع أن يكمل اليوم، قدم على إجازة وذهب لغرفته تمدد على أريكته ليس له رغبة بالطعام، يتأمل سقف الغرفة ويدخن سيجارته وكأنه يبحث عن شيء ما، يأخذ الدفتر وعاد من جديد يقرأ»

ها أنت أمي تعيشين بداخلي. يوم بارد وأمطار غزيرة ولكن البرد الذي سببه فراقك أشد صقيعا، لم تعد زخات المطر تسعدني كما كانت. هي تذكرني بفقداني لك لم تعد فرحة لقلبي كسابق عهدها

التصقت أناملي بذلك الزجاج...

أرتجي منه رحمة...لذكرى كانت لك بقلبي...

obeikandi.com

حسرة أمي، كنت بحياتي حلمًا..

كنت معي ولم تكوني..

كيف اليوم وأنت تحت التراب تسكنين..

قوية كنت بدون كلام تحكمين..

نظرة عينيك فيها سحر بها كنت مغرمة..

ضمة صدرك كانت لي حلما ولم تزل..

أخذ التراب جسدك.. بدموعي أسقي ترابك..

ومازلت أحلم لو أنك بيوم ضممتني...

ولملمت بحنانك حزني وفرحي..

أسطر شوقي إليك كنت ومازلت حزني وحرقتي...

واليوم أبكي مع السماء مطرا بعدك...

شوقا وحنينا إليك أمي...

رأيتك تعانقين التراب ..!!

وحق السماء تمنيت هذا العناق...

وجسدك تحت التراب...

obeikandl.com

وجسدي يقتله الشوق إليك أمي...

يبدو أنك لست وحدك محمود من قتل فرحة المطر عندي هناك من كان أكثرا إجرامًا منك، شيطان من شياطين الدنيا، تموت كل الذكريات وتبقى أنت يامن قتل كل أحبتي، تنهش جسدي، تسرق أي إحساس بالفرح قد يأتي، هي تلك اللوحات المشوهة لا تريد فراقي

دخلت حليمة والدموع بعينيها حليمة تقف حزينة أمامي محاولة تخفيف ما أنا فيه وتقول:

– إلى متى حياة ستبقين هكذا تنظرين إلى المطر من وراء الزجاج وتبكين.

زفاف أختك قريبا يجب أن تشعريها بالفرح وتكوني معها بروحك وقلبك.

-حليمة لم تخبريني ماذا حدث لك بعد هروبك من المستشفى؟؟

-مازلت تذكرين، ظننتك نسيت بعد ما مر بك من حزن.!!

-حليمة قصتك ألمتني ولكن كنت أنتظر وقتا نكون فيه بمفردنا لتروى لي ما حدث هيا أخبريني تتمة القصة، ولكن بشرط أن لا يسبب لك ذلك حزنا أثناء سردك تلك المأساة.

obeikandl.com

-ربما حين نتكلم عن الماضي سيدتي نغتسل من همومنا ولكني أخشى عليك همًا جديدًا يحمله قلبك الكبير.

-لا تخافي حليمة أريد معرفة ما حدث أكملي ما حدث بعد خروجك من المستشفى.

تنقلت بين شوارع المدينة من مكان إلى آخر وإنا لا أعلم إلى أين تأخذني قدماي. تعبت وأنهكت قواي حتى وجدت نفسي أما م دار للأيتام، وقفت على بابه متهالكة من المرض والتعب والجوع، طرقت الباب ووقعت على الأرض في حالة إغماء، وجدت نفسي بعد أن أفقت مستلقية على السرير كنت قد ظننت أني مت وأني في عالم آخر، لولا وجود سيدة تجلس بقربي أخبرتني كيف وجدتني وأدخلتني إلى الدار وأنها اهتمت بي وأحضرت لي طبيب الدار وقامت هي على الاهتمام بي وسألتني عن قصتي وما الذى أودى بي لتلك الحالة أخبرتها بكامل القصة.

والغريب أنها كانت تستمع للقصة وكأنها أمر عادي يحدث كل يوم لم أجد أي تأثر أو استغراب لما أرويه لها، لا أنكر أنها أراحتني ببرودها ذاك، وانتهيت من روايتي تلك وساد السكون بيننا، لم يطل انتظاري -سألتني ليس عندك مكان تأوين إليه؟

-لا ليس عندي سكن ألجأ إليه.

-يمكنك هنا والعمل كذلك ونحن نتكفل بإطعامك ما رأيك.؟

-أتمنى ذلك.

-أنا أعمل هنا منذ زمن ويمكن أن تساعديني في أعمال الدار وتتعلمين الطهي والتنظيف، كل الأطفال هنا بحاجة لرعاية واهتمام.

- أتمنى أن أكون عند حسن ظنك سيدتي.

لم يكن عندي خيار آخر، استلمت العمل في صباح اليوم التالي، تعلمت كل الأعمال التي طلبت مني.

كنت أعمل بجد ونشاط رغم التعب الذي أواجهه من سوء المعاملة، تحملت الكثير حتى لا أعود للتشرد

في يوم إجازتي خرجت للسوق وبينما كنت واقفة أريد شراء بعض الطعام خطرت لي فكرة أن أسأل صاحب المطعم عن عمل لي في أحد البيوت وأخبرته أني أعمل في دار للأيتام ،

- قال لي: هل تجيدين القيام بجميع أعمال المنزل من طهي وترتيب؟

-نعم سيدي قد تعلمت كل شيء.

- عندي صديق بحاجة إلى خادمة سأتصل وأسأله إن كان مازال بحاجة.

obeikandl.com

اتصل بصديقه ورحب بالفكرة وأتى وأخذني من المطعم.

كانت عائلة طيبة ولكن كثرة الرفاهية والدلال أفسدت تربية الأولاد وهذا كان يتعبني كثير وتنقلت لبيوت كثيرة وفي كل بيت أجد ما يعكر علىّ حياتي مرت علي سنين دون أن أنتبه بأني أكبر وأني أصبحت شجرة يابسة لاخير فيها حتى أني لم أعد أقوي على العمل المتواصل لعائلة كبيرة العدد، حتى وصل بي القدر إلى السيد أحمد كنت أعمل عنده في مزرعة لهم وفي يوم حضر إلىّ وطلب مني أن أهتم بك وأكون بجانبك...

-هذه قصتي مختصرة سيدتي الحياة صعبة على مثلنا نحن خلقنا للشقاء عليكِ أن تهتم بحياتك ولا تدعي فرصة زواجك من أحمد تفوتك.. الحياة تمضي بنا دون أن نشعر.

-كم تعذبت يا حليمة وأي شقاء صّل بك ومع ذلك تمتلكين قلبا مليئا بالحنان والحب.!!

-ولكن لم يبحث عنك والدك هل نسيك، وأنت ألم تحاولى أن تطمئنى عليه

-بلى سيدتي سألت عنه من بعيد وعلمت أنه باع البيت الذي كنا نسكنه ترك البلد ولم يعلم أحد بمكان رحيله.

-أي قسوة يحملها الآباء؟ حسنا حليمة علينا أن نحضر الطعام قبل عودة لمى من السوق.

obeikandl.com

-ولكن لا تريدين التحدث إلى السيد أحمد، هو يتصل كل يوم ويريد التكلم معك..!

- سأتكلم معه الآن أعطيني الهاتف.

- كيف حالك أحمد..؟

- أنا بخير الحمد لله وأنت..

وأنا بشوق إليك واعتذر عن غيابي الطويل عن العمل، سأعود بأقرب وقت.

لا لن أستطيع العودة للبيت بعد وفاة والدتي لا يمكن لي أن أقيم في بيتك أحمد أعذرني.

لا أستطيع أن أستقبلك هنا أرجوك أن تقدر الظرف، زفاف أختي هذا الأسبوع ويجب أن أكون بجانبها وبعدها أعود للعمل، مؤكد سأكلمك هاتفيا وبعد الزفاف أعود للعمل.

شكرا لك أحمد إلى اللقاء»

«عادت أختي من السوق وأخبرتها ما حدث بيني وبين أحمد أخبرتني أن ما فعلته هو الصواب وذهابي للعيش بذلك البيت هو خطأ بحقي

obeikandl.com

إلا في حال أن تزوجني أحمد، وأنها تشعر أن هذا الزواج فيه متاعب كثيرة.

أولها أنه متزوج وثانيها علاقاته النسائية المتكررة».

-قلت لندع هذا للأيام، المهم الآن أن نفرح بك مضى الشهر في تحضير أمور الزواج وحان موعد الزفاف، لم يكن حفلًا كبيرا بسبب وفاة والدتي، هي حفلة وداع صغيرة ثم أخذها زوجها وسافر إلى بلد عربي حيث يقيم.

كنت أطمئن عليها، وسعادتي لا توصف لأنها استقرت وتركت ورائها غبار الماضي الحزين بكل ما فيه...

obeikandl.com